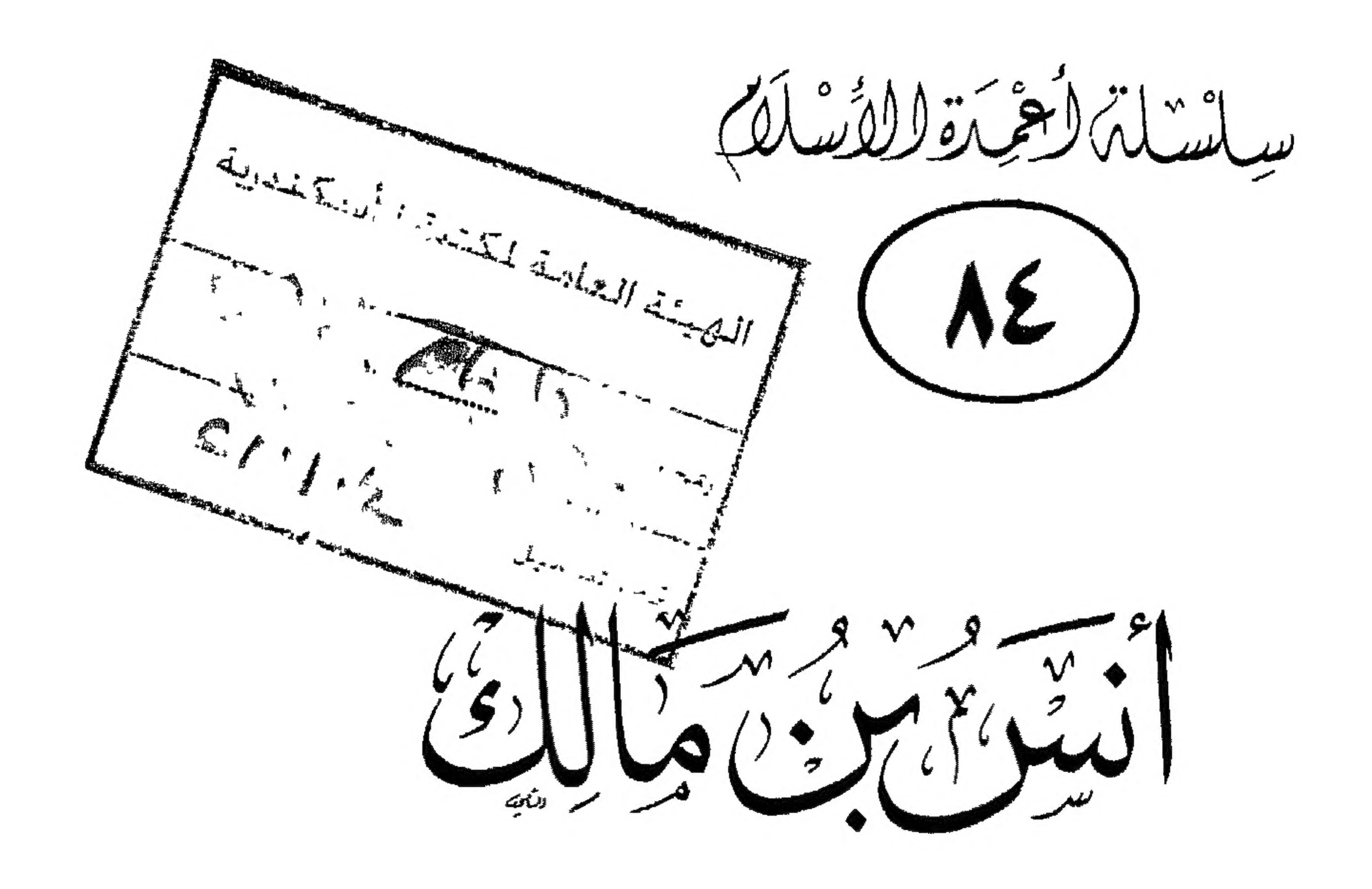
أنس بن مالك





سلسلة أعمدة الإسلام

٨٤

أنس بن مالك

رضي الله عنه

إعداد

حلمي علي شعبان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

انس بن مالك

١ ـ اسـمُـه

هـو أَنسُ بنُ مـالـكِ بنِ النَّضـرِ بنِ ضَمْضَمٍ بنِ زيدِ بنِ حرامٍ بنِ جندبِ بنِ عامرِ بنِ غنمٍ بنِ عديٍّ بنِ النّجـارِ تيمِ اللّه بنِ ثعلبـةَ بنِ عمـروبنِ الخـزرجِ بن حارثة الخزرَجِيّ الأَنْصاري.

وكنيتُـه: أَبـو حمـزة. كنَّـاهُ بهـا رسـولُ اللَّهِ ﷺ ببقلة[1] كان يجتنيها.

٢ ـ أَنَسُ بـنُ مـالـك

تميَّزتْ شخصيةُ أَنَس بنِ مالك بـالنَّباهَـةِ وسرعـةِ

(١) بقلة: نوع من الخضار والبقول.

الفَهْمِ وحِدَّةِ الذكاء.

وبَدتْ نباهَتُهُ منذُ اليومِ الأَوَّل لِتلقِينه[1] مبادىءَ القراءَة والكِتابَةِ. فقد اسْتطاعَ أَنْ يُجيدَهما حتى فاق كلَّ أَقْرانِه[2].

ولقد وهَبُه اللّه عقلاً كبيراً جعلَهُ يستَوْعِبُ كلَّ ما يُعْرَضُ أَمامَهُ بفهمٍ وذكاءٍ.

وتمتَّع إضافةً إلى ذلكَ بذاكرةٍ عجيبة تَخْتَزِنُ الأَقوالَ والأَحاديثَ ثم يردها بأَمانةٍ ودِقةٍ دونَ أَنْ يَغْفَل كلمةً أَو يَنْسى عبارة.

وانس منذُ طفولَتِهِ كانَ هادِىءَ الجلْسَةِ، رقيقَ الحديثِ، ناعِمَ المخاطَبَةِ، توحي تصرُّفاته بحُسْنِ تَنْشِئَتِهِ وتَرْبِيَته لأَن سلوكَهُ كانَ ينِمُّ دائماً عن ذوْقٍ وتهذيب.

وعلى الرَّغم من وجودِ بُقَعٍ بيضاءَ على ذراعَيْهِ، كانَ يُخْفيها بأَثوابٍ طويلَة، لم ينفِرِ النّاسُ من مجالستِهِ والتَّوَدُّدِ إليهِ وسماعِ أَقْوَالِهِ، لأَنَّه كانَ يخلُبُ أَلْبابَ سامِعيه بحُسْنِ حدَيثِهِ وسعَةِ عِلْمِهِ وعُمقِ اطِّلاعِه.

ونَبَتَتْ لأَنَس بجانِبِ أُذُنَيْهِ قطعةُ لحمٍ مُدَلّاة فأَراد

---

(١) تلقينه: تعليمه.

(٢) أقرانه: رفاقه من عمره.

أَنْ يَقْطَعها فَنَهَتْهُ أُمُّهُ عن ذلك. . فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُداعِبُه ويقولُ لَهُ:

ـ «يا ذا الأُذُنَيْن»

وأَنس أَبيضُ البشَرةِ، طويلُ القامةِ، ممتلىءُ الجسم، دقيقُ تكاوينِ الوَجْهِ. فالعينانِ ضيِّقتانِ، والأَنْفُ صغير، وكانَ يَصْبغُ شعرَه ولحيَتَهُ باللونِ الأَصْفر.

واشتهرَ أَنَس بَيْنَ شبابِ المدينةِ المنوَّرَة بِبرَاعَتِهِ في رَمْي السِّهام. فلم يكُنْ يجاريهِ أَحَدٌ بذلكَ. كَما أَجادَ ركوبَ الخيل وأَلعابَ الفروسيَّة.

٣ ـ خادِمُ الرَّسول

نَشَأَ أَنَسُ بنُ مالك في بيتٍ عَرَفَ الإِسْلامَ قبلَ غَيْرِهِ، وأَخْلَصَ أَهْلُهُ لدينِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وسبقوا الناسَ بإيمانِهِمْ بمحمد بن عبد اللَّهِ عليه الصلاةُ والسلامُ نبياً ورسولاً.

فَعَمُّهُ أَنس بنُ النَّضر قَضَى وهوَ مُسْلِمٌ شديدُ الإِخْلاصِ لدينهِ.

وأُمُّهُ الرمَيْصاء بنتُ مِلْحان، أُمُ سُلَيْم، التي اشْتَرَطَتْ على أَبي طلحةَ زيد بن سَهْل أَنْ يكونَ مَهْرُها إِسْلامَه عِنْدَما تقدَّمَ منها وهو مُشْرِكٌ ليتزَوَّجَها. وأَسْلَمَ أَبو

طلحةُ بفضل أُمِّ سُلَيْم.

وهي أُمُّ الصحابِيَّيْن الجليلَيْن: البراء بن مالك الذي استُشْهِدَ أثناءَ فتوحِ بلاد فارس.

وأنس بن مالكٍ خادِم رسولِ اللَّهِ ﷺ.

وكانَ أنَس في السنةِ العاشِرَةِ من عمْرِهِ عِنْدَما اصطَحَبْتُه أُمُّهُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ

وقالَتْ لَهُ:

- يا رسولَ اللّه...

هذا أنَس غُلامُكَ يَخدِمُكَ. فادْعُ اللَّهَ لَهُ.

فَقَبَّلَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ بيْنَ عينَيْهِ ودَعَا لَهُ قائلاً:

- «اللهُمَّ أَكْثِر مَالَهُ وولَدَهُ وبارِكْ لَهُ وأَدْخِلْهُ الجنَّة».

وبَقِيَ أنَس خادماً لرسول اللَّهِ ﷺ لمدَّةِ عَشْرِ سنواتٍ تعلَّمَ فيها وتفَقَّهَ في الدِّين. وهو يخدمُ النبيَّ المُصْطَفى وسَيِّدَ المُرْسلين.

٤ - في ساحةِ الجهاد

كانَ أنَسُ ذلكَ الغلام اليَافِع(١) عِنْدَما وقعتْ

(١) اليافع: الناشىء.

معركةُ بَدْر. ولم يتخلَّفْ عَنْها بَـلْ حضرَهـا وهو يخـدم النبيَّ عليهِ الصلاةُ والسّلام.

وقد رَوى محمدُ بنُ عبد اللّه الأَنصارِي فقال:

ـ «قِيلَ لأَنَس بنِ مالِك: أَشَهِدْتَ بَدْراً؟

قال:

ـ وأَيْنَ أَغيبُ عن بدرٍ لا أُمَّ لكَ».

ولم يَغِب أَنَس بـالرُّغْم مِن صِغَـر سِنِّـهِ عن كـلِّ الحـروبِ والغـزَوات التي خـاضَهـا رسـولُ اللَّهِ ﷺ. واسْتَـطَاعَ أَنْ يتعلَّمَ من المسلمينَ المجـاهِـدينَ فنـونَ القتالِ واسْتِعْمَالَ السِّلاح حتى إذا تجاوَزَ الخامسةَ عشرَةَ من عُمـرِهِ نَـزل إلى سـاحـةِ الجهـادِ يُشـارِكُ المسلمينَ الأَبرارَ في قتالِ أَهْل الشِّرْكِ والكُفْر.

وبرزَتْ جراَةُ أَنَسٍ وإِقْدامُهُ في يومِ حُنَيْن. فقد ظلَّ ملازِماً لرسولِ اللَّهِ ﷺ وثابتاً إلى جانِبه مع من ثبَتَ من الصحَّابةِ الأَجِلّاء.

فبعدَ أَنْ تَمَّ فَتْحُ مَكَّةَ المكرَّمـة. جمعَ مـالك بنُ عوف النَّصْري قبيلةَ هوازن تَحْتَ إِمْرَتِهِ وانْضَمَّتْ إِليهِمْ قبائلُ ثقيفٍ ونصر، وجشم، وسعدِ بنِ بكر، وبعضُ بني هـلال، ورَفَضوا أَنْ يسـودَ الإِسـلامُ الجـزيـرَةَ العـربيَّـة

وتتوحَّد في ظلِّه، ورأَوا أَنْ يُهاجِموا مكة المكرمة.

ولمـا عَلِمَ رسـولُ اللّه ﷺ بمـوقِفِهِمْ وبِمـا هُمْ عليه، خـرجَ إليهِمْ بجيشٍ كثيفٍ جـرّارٍ لِيُؤَدِّبَهـمْ ويَقْضِيَ على مالكِ بنِ عوفٍ رأْسِ الفتنةِ عِنْدَهُمْ.

وكـانَ أَهـلُ هـوازِنَ مِنَ الخبـراءِ في الحـروبِ والمعارِكِ. فأَرْسَلوا مِن يتجسَّسُ على المسلمينَ ويَعْرِفُ الطريقَ التي سَيَسْلكُونَها في القدوم إليهِمْ.

ولما عَلِموا الطريقَ التي سَيَسْلكُها رسولُ اللّه ﷺ والمسلمـون وهي «وادي حنين»، سبقـوهم إلى هنـاكَ وكَمَنوا لهُمْ في شِعابِ الوادي ومرتَفَعاتِهِ بانْتظارِ قـدومِ المُسْلمين.

وفي مطلع الفَجْر، دخـلَ رسـولُ اللّهِ ﷺ ذلكَ الـوادي والمسلمـون من خَلْفِـهِ. حتى إذا وصـلَ إلى مُنْتَصَفِـهِ انْقضَّ عليهم المُشركـونَ من كـل الجهـاتِ فباغتوهُمْ[1] وأَعْملوا سيوفَهُمْ فيهِم.

وذُعِرَ المسلمونَ أَمام ذلكَ الهجوم، وتَفَرَّقـوا في كلِّ الجهاتِ يَهْربونَ ويَفِرّونَ من أَرْضِ المعركةِ دونَ أَنْ يتصـدَّوْا للمشركينَ ويُقاتِلوهُمْ.

---

(١) باغتوهم: فاجؤوهم.

وانْحـازَ[1] رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى شِعبٍ[2] في يمين الوادي ومعَهُ رجالٌ من أَهْلِ بَيْتِهِ ثبَتوا حولَهُ وهُمْ: عليُّ بنُ أَبي طالب، والعباسُ بنُ عبد المطلب، وأَبو سفيانَ ابنُ الحـارث وابْنُه، والفَضْـلُ بنُ العبـاس، وربيعـةُ بنُ الحـارث، وأُسامـةُ بنُ زيد، وأَيْمنُ بنُ عُبَيْـد، وخادِمـهُ الأَمين أَنَسُ بنُ مالك.

ثم أَخذَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُخاطِبُ الناس ويقول:

ـ أين أَيُّها النَّاس؟

هلمّـوا إليَّ.. أَنا رسـولُ اللَّهِ.. أَنـا محمـدُ بنُ عبدِ اللَّه..

ثم طلَب الـرسولُ الكـريمُ من عمِّـهِ العبـاس أَنْ يُنادي في الناسِ، وكـانَ صاحِبَ صـوتٍ قويٍّ، وقـالَ لَهُ:

ـ يا عبّاس...

اصْرُخْ يا مَعْشَر الأَنْصار...

يا مَعْشَرَ أَصحابِ السَّمُرَةِ.

وما انْ صرخ العبّاسُ حتى تَنَبَّهُ المسلمونَ إلى ما

---

(١) انحاز: مال.

(٢) شعب: طريق في الجبل.

هُمْ فيهِ ونَدِموا على انهزامِهِمْ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ. . ثم صاحوا بصوتٍ واحد:

ـ لبَّيْكَ. . . لبَّيْكَ. .

ودارَتْ بعدَ ذلكَ معركةٌ رهيبةٌ اسْتطَاع المسلمونَ أَنْ يَنْتَصِروا فيها بِفَضْلِ ثباتِهِمْ وعدَمِ فِرارِهِمْ.

وكان للبراءِ بهِ مالك، وأخيه أنَس، مواقِفُ بطوليَّةٌ عظيمةٌ في ذلك اليوم. . يوم حُنَيْن.

وبعد أَنْ انْتَقَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الرفيقِ الأَعْلى خلفَهُ على المسلمينَ أبو بكر الصِّدّيق رَضِيَ اللَّهُ عنهُ.

وارْتَدَّتْ قبائلُ كثيرةٌ عن الإسْلامِ فتصَدّى لها الخليفة بحَزْمٍ وقوَّة. وتجمَّع المسلمونَ الثّابِتونَ على إسْلامِهِمْ وإيمانِهِمْ وساروا خَلْفَ أَبي بكر يُدافعونَ عن الإسلام.

وكانَتْ حركةُ مسيلمةَ بنِ حبيبٍ الكذّاب في بني قَوْمِهِ بَني حنيفة في أَرْضِ اليمامَةِ القَريبة مِن البحرَيْن، من أَخْطَرِ الحركاتِ التي هدَّدت وَحْدَةَ الجزيرةِ العربيَّةِ حولَ الدّينِ الإسلاميِّ الحنيف.

وخاضَ المسلمونَ في حَرْبِهِمْ ضدَّ مسيلمَة الكذّاب وجَيْشِهِ الكبير، أَعْنَفَ معركةٍ في تارِيخِهِمُ

العسكري داخلَ الجزيرةِ العربية.

فقَـدْ بلغَ عَـدَدُ أفْرَادِ جيشِ مسيلمـةَ الكـذّاب، أربعين ألفَ مقـاتِل وهـو يزيـدُ كـل عـدد أفْـرادِ جيشِ المسلمينَ المجاهِدينَ بقيادةِ خالدِ بن الوليـد؛. ويُعاوِنُـهُ أبطالٌ عظام أمثال: عكرمة بنِ أَبي جهل، وشرحبيل بن حسنة، وزيد بن الخطاب، وثابت بن قيسِ بن شِمَاس، والبراء بن مالكَ وأخيه أَنَس.

وأَبلى أَنَس في يوم اليَمامة بلاءً حسَناً. فكانَ في ساحةِ الجهادِ من خيرةِ الـرُّماةِ الـذين أَلْحقوا بصفـوفِ المُرْتَدّينَ إصاباتٍ كثيرة.

على أَنَّ أَعْظَمَ بطولةٍ أَظْهَرهـا أَنَسُ بنُ مالـك معَ أخيه البراء، كانَتْ أَثناءَ فَتْحِ أَحَد حصونِ العِراق.

فبَعْـدَ أَنْ حاصَـر المسلمونَ ذلِكَ الحصْن، لجأَ الفـرسُ إلى طريقـةٍ وحشِيَّةٍ في قتـلِ المسلمين. ذلكَ أَنَّهم كـانوا يُـدْلونَ من أَعْلى السّـورِ سلاسِـلَ حديـديَّة مُحَمّـاةً بـالنّـار وفي أَطْـرافِهـا كـلاليب[1] مـا انْ تمسّ المسلِمَ في ثَوْبِهِ حتى يَرْفَعهُ الجنودُ وهُوَ يَخْشى أَنْ يمسَّ السِّلْسِلَةَ ليُخَلِّصَ نَفْسَهُ حتى لا تَحْترِق يَداه.

---

(١) كلاب: حديد مدبب الرأس ومعقوف.

وَبيْنما البراءُ بنُ مالك يتأمَّلُ ذلكَ الحِصْن علَّهُ يَجِدُ فيه ثغرةً يَنْفذُ منها إلى داخِله، لمَحَ أخاهُ أنساً وقَدْ علقَ أحَد الكلاليبِ في ثَوْبِهِ وجنودُ الفُرْسِ يَرْفعونَهُ وهو يَخْشى أنْ يلمَسَ السِّلْسِلَةَ بيدَيهِ حتى لا تَحْتَرِقا.

فانْدَفع البراءُ يُمْسِكُ بالسِّلْسِلَةِ ويُخَلِّصُ ثَوْبَ أخيهِ من الكلاّب، ويُنْقِذُه. وعِنْدَما أتَمَّ مُهِمَّتَهُ وجَد أنَّ اللَّحْمَ قد زالَ عن يَدَيْه بِفِعْل الحروق.

وظلَّ أنَس في جيش الفَتْح المُتَّجِهِ إلى بلادِ فارِسَ حتى قُدِّرَ لَهُ أنْ يَرى اسْتِشْهادَ أخيهِ البَراء في تستر، عِنْدَما قتلَهُ الهرمُزان.

٥ ـ الفقيهُ المحدِّث

اكْتَسَبَ أنَسُ بنُ مالك، الكثير من رسولِ اللَّهِ ﷺ. فقد ازْدادَ عِلْمُهُ واتَّسَعَ فقهُهُ، وعَمُقَ فهمُهُ لأمورِ الدّينِ وحَفِظَ الأحاديثَ النَّبَوِيَّةَ الشَّريفة حتى كانَ من أكْثَرِ المُحَدِّثينَ والرُّواةِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ.

وكانَ شديدَ الفخر لأنَّهُ خَدَمَ النبيَّ عليهِ الصلاةُ والسلام. فقد رَوى أبو داود عن أنس أنَّه قال:

ـ «إني لأرْجو أنْ ألْقى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأقول:

ـ يا رسولَ اللَّهِ . . . خُوَيْدِمُك[1]» .

وبَقِيَ أَنَس في البصـرة مَـرْجعـاً لكـلِّ المسلمينَ يُسأَلونَهُ في أُمورِ الدّينِ ويَطْلبونَ مِنْهُ المزيدَ مِنَ الحديثِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وتقدَّمَ منهُ يوماً أَحَدُ المسلمينَ وسأَلَهُ :

ـ يا أَنس . . .
هل مَسَّتْ يدكَ كَفَّ رسول اللَّهِ ﷺ؟
فأَجابَهُ أَنَس :

ـ نعم .
قالَ الرَّجل :
ـ فأَعْطِنيها أُقَبِّلها .

وقالَ محمدُ بنُ سعدٍ عن مسلمِ بنِ إبراهيمِ عَنْ عثمان بْنِ الذّراع أَنَّه قالَ :

ـ «سمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مـالِك يقـولُ: ما مِنْ ليلةٍ إلا وأَنا أَرى فيها حبيبي رسولَ اللَّهِ ﷺ .

ثُمّ يبكي» .
ورَوى النضر بنُ أَنَسٍ عن أَبيهِ أَنَس أَنَّه قالَ :

---

(١) خويدم : تصغير خادم .

ـ «سأَلْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لي يومَ القيامة

قال:

ـ أَنا فاعِل.

قلتُ:

ـ فأَيْنَ أَطْلُبكَ يومَ القيامةِ يا نبيَّ اللَّه؟

قال:

ـ اطْلُبْني أَوَّلَ ما تَطْلُبني على الصِّراط.

قلتُ:

ـ فإِذا لم أَلْقَكَ؟.

قال:

فأَنا عندَ الميزان

قلْتُ:

ـ فإِذا لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الميزانِ؟

قالَ:

ـ فأَنا عِنْدَ الحوضِ. لا أُخْطِيءُ هذهِ الثَّلاثة المواطن يومَ القيامة».

وكانَ أَنس إذا حدَّثَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وفَرغَ مِنْ حديثِهِ، يَخْشى أَنْ يكونَ قد فاتَهُ شيءٌ من الحديث فيَسْتَدْرِك قائِلاً:

ـ أَوْ كما قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ.

ووَفَد أَنَس إلى دِمشق، وخليفةُ المسلمينَ يـومَها الوليدُ بنُ عبد الملك يَبْني جامِعَ دمشق. وشاهَـدَ أَنس صـلاةَ الناسِ تَخْتَلِفُ عمّـا كـانَتْ عليـهِ أَيـامَ رسـولِ اللّهِ ﷺ. فبكَى لـذلِـكَ. لأَنَّ النـاسَ كـانـوا يؤَخّـرونَ الصَّلاةَ إلى آخرِ وقْتِهـا الموسَّـع بدَلاً من المبـادَرَةِ إلى أَدائِها في أَوَّلِ وَقْتها.

واسْتَمرَّ أَنَس في دمشق يَدْعو النّاسَ إلى العبـادةِ الصَّحيحةِ والتقيُّدِ بـأَحْكام الإِسْـلام. فقَدْ وظَّفَ عِلْمَـهُ وفِقْهَهُ في خدمةِ الدينِ الحنيف.

ورَوى مكحول فقالَ:

رأَيْتُ أَنَسـاً يَمْشي في مَسْجِدِ دِمَشْقَ فقُمْتُ إِلَيْـه فسأَلْتُهُ عن الوضوءِ مِنَ الجنازَةِ فقالَ:

ـ لا وضوء.

وقد روى عن أَنسٍ كثيرٌ من الصَّحابَةِ والتَّـابِعينَ لأَنَّه كانَ مـن أَكثرِ النّاسِ روايةً عن رسولِ اللّه ﷺ.

وكانَ أَنَسُ بنُ مالِك رجلاً مباركاً في حياتِهِ. فقد رَوى سليمانُ بنُ ثابِتَ فقالَ:

ـ «كُنْتُ مع أَنَس. فجاءَت امرأَةٌ سَيِّدَةٌ في قَـوْمِها فقالَتْ:

ـ يا أَبا حَمْزَة . .
عَطِشَتْ أَرْضنا .

فقامَ فتوضَّـأَ وخَرَجَ إلى البَـرِّيَّةِ فصلّى رَكْعَتَيْنِ ثم دَعا رَبَّه . فرأَيْتُ السَّحابَ يَلْتَئِمُ ثمَّ أَمْطَـرَتْ حتى خُيِّلَ إِلَيْنا أَنّها ملأَتْ كلَّ شيء» .

٦ ـ دُعـاءُ الرَّسـول

اسْتَقَرَّ أَنَسُ بنُ مالِك في البصرة . وقد كانَ لَهُ فيها أَرْبَعةُ منازِلَ وقـد أَفاض(١) اللَّهُ عليـهِ من رِزْقِهِ الخَيْـرَ الكثيرَ بِفَضْلِ دُعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ .

وفي ذلكَ روَى أَنَس فقال :

ـ «جاءَتْ بِي أُمّي إلى رسول اللَّهِ ﷺ وأَنـا غلامٌ فقالَتْ :

ـ يا رسولَ اللَّهِ . . .

خُـوَيْـدِمُـكَ أَنَس . فـادْعِ اللَّهَ لَـهُ . فقـالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وولَدَهُ وأَدْخِلْهُ الجنَّة .

---

(١) أفاض : ملأ .

فقد رأَيْتُ اِثْنَتَيْن وأنا أَرجو الثّالثة».

ذلك أَنَّ أَنَسَ بنَ مالِـك أصابَ مـالاً كثيـراً في حياتِهِ من جـرّاءِ جهادِهِ وأَسْهُمِـهِ ونصيبِهِ من بيتِ مـالِ المُسْلمين. ولم يَقْبَـلْ أَيَّ مالٍ يَـأْتيهِ من غيـرِ مصْـدَرِهِ الشَّرْعِي. وقد حدَثَ أَنْ أَرْسَلَ لَـهُ أَحَدُ أُمـراءِ الأَمْصارِ مالاً فسأَلَ:

أَمِن الخُمْسِ؟.

قالوا لَهُ:

ـ لا.

فلَمْ يَقْبَلْهُ.

وتَنَعَّمَ أَنَس في حيـاتِـهِ فلَبِسَ فـاخِـرَ الثِّيـابِ من الحريرِ والدّيباجِ وأَحَبَّ الطَّعام. فقـد وازن في حياتِـهِ بَيْنَ دينِهِ ودُنْياه. فكـانَ إذا أَرادَ العَيْشَ تَنَعَّمَ في عَيْشِهِ. وإذا أَرادَ العبادَةَ قَنتَ للّهِ تعالى بكلِ جَوارِحِه.

وشَدَّ أَنَس أَسنانَهُ بالذَّهَبِ، وجَعَلَ لِنَفْسِـهِ خاتَمـاً خاصّاً من الفِضَّةِ نَقَشَ عليهِ صورَةَ أَسَدٍ رابِض.

وكانَ لأَنَس بساتينُ من النَّخْـل والكَرْمَـةِ تُثْمِرُ في السَّنَةِ مرّتَيْن. وكانَ يوجَدُ في تلكَ البَساتينِ أَشجارٌ تَنْشُر العِطْرَ والأَريجَ في كلِّ الأَرجاءِ المحيطَةِ بِها.

وكَثُر الأَولادُ من صُلْب أَنَس بنِ مالِك. فقد رُزِق ثمانينَ من الذُّكور وابْنَتَيْنِ اثْنَتَيْن. وفي ذلكَ رَوى أَنَسُ فقالَ:

ـ فواللَّهِ إنَّ مالي لكَثير. حتى نَخْلِي وكَرْمي ليُثْمِرُ في السَّنَةِ مرَّتَيْن...

وإنَّ ولدي وَولدَ ولدي لِصُلْبي مائةٌ وسِتَّة.

وبِذلِكَ كرَّمَ اللَّهُ سبحانَـهُ وتَعالى أَنَسَ بْنَ مـالِك في حياتِهِ فـأَكْثَر مـالَهُ.. وأَكْثَـر أَوْلادَهُ.. بِفَضْل دعـاءِ رسول اللَّهِ ﷺ لَهُ. وبَقِيَت الدعوةُ الثالثةُ بدخولُ الجنَّة وهو ما كان أَنَس يَرْجوهُ بَعْدَ مَماتِه.

٧ ـ أَنس والحجاج

وكانَ يُمكِن لحياةِ أَنس بنِ مالِك أَنْ تَنْقَضِيَ وهُوَ في سعادةٍ ونعيمٍ وقنوتٍ وعِبادةٍ لَوْلا الذي حصَلَ لَهُ مع الحجاج بنِ يوسفَ الثَّقفي.

فبَعْدَ أَنْ فَرِغَ الحجّاجُ مِنَ القضاءِ على تمرُّدِ ابنِ الأَشْعَث، اعْتَقَـدَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مالِـك كانَ من مـؤيِّـديـهِ ومُحَرِّضيه على التمرُّدِ على سُلْطَةِ الخليفةِ عبـدِ الملكِ ابنِ مروان.

واسْتَدْعى الحجاجُ أَنَسَ بْنَ مالِك وبادَرَهُ بالقَوْل:

ـ : «يـا خبيث. . يا جَـوَّال في الفِتَن. مـرَّةً مـع عليٍّ ومرَّةً مع ابْنِ الزُّبَيْر، ومـرَّةً مع ابْن الأَشْعَث. أمـا والذي نَفْسُ الحجّاجِ بِيَدِهِ لأَستأصِلنَّك»⁽¹⁾.

فقالَ أَنَس:

ـ إيّايَ يَعْني الأَمير؟

قالَ الحجّاج:

ـ إياكَ أَعْني، أَصَمَّ اللَّهُ سمعَكَ.

وزادَ في تَحْقيرِهِ وإِهانَتِه.

فَحَـزِن أَنَس على ما لَحِقَ بِهِ من ظُلْمٍ وهُوَ خادِمُ رسـول اللَّهِ ﷺ وآخِـرُ صَحـابَتِـهِ الأَحْيـاء. فكتَب إلى الخَليفةِ عبدِ الملك يَقولُ:

ـ «واللَّهِ لـو أَنَّ اليهودَ والنَّصـارى رأَوْا مَنْ خَـدَمَ نبيَّهُمْ لأَكْـرَموهُ. وأَنـا قَدْ خَـدَمْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَشْـرَ سنين».

وظلَّ بعدَ ذلكَ يَرْوي مُفَسِّراً عَدَم تَصَدِّيهِ للحجَّاجِ بالرَّدِّ عليهِ بكلام يُناسِبُه، أَو حتّى بِقتالِه فقال:

ـ «لـولا أَنّي ذَكَـرْتُ أَولادِي الصِّغـار، وخِفْتُـهُ

(١) استأصل الشيء: قطعه من أساسه.

عَلَيْهِم. ما باليْتُ[1] أيَّ قَتْلٍ أُقْتَل. ولكلَّمْتُهُ بكلامٍ في مُقامي هذا لا يَسْتَخِفُّني[2] بَعْدَه أبداً».

ولما عَلِم الخليفةُ عبدُ الملكِ بنُ مروان بما حصَلَ لأَنَس بْنِ مالِك من قِبَل الحجَّاج غَضِبَ غضباً شديداً وكتَبَ إلى الحَجّاج كتاباً فيهِ غلظةٌ وتوبيخٌ قالَ فيه:

ـ «إذا جاءَكَ كتابِي هذا فقُمْ إلى أَبي حمزةَ فترَضّاهُ وَقَبِّلْ يدَهُ ورِجْلَهُ وإلّا حَلَّ بكَ مِنّي ما تَسْتَحِقُّهُ».

وبادَرَ الحجّاجُ بنُ يوسُفَ الثَّقَفِي إلى مصالحةِ أَنَسِ بْنِ مالِك وأَخْذِ رِضاهُ.

٨ ـ وفاتُه

وعَمَّرَ أَنسُ بنُ مالِكٍ حتّى بلغَتْ سِنُّهُ يومَ وفاتِهِ مائةً وثَلاثَ سَنَوات.

وكانَ في آخِرِ أَيّامِهِ يَمْكُثُ مع أَوْلادِهِ وأَحْفادِهِ يلاعِبُهُم ويُداعِبُهُم ويرْمي مَعَهم.

---

(١) ما باليت: ما خشيت.

(٢) يستخفُّني: يحتقرني ويقلل شأني.

وقد سألَهُ مرةً موسى النَّبْلاوِي:
أنْتَ آخرُ مَنْ بَقِيَ من أَصْحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؟.
أَجَابَهُ أَنَس:
ـ قَدْ بَقِيَ قومٌ من الأَعراب..
فأَما من أَصْحابِهِ فأَنا آخِرُ مَنْ بَقِيَ.

واشْتَدَّ المرضُ على أَنَسِ بْنِ مالك، وكانَ يَحْرِصُ على الإِمْساكِ بعصاً حتى وهُوَ في حالةِ المرَض. ولما سُئِلَ عن سِرِّ تِلْكَ العَصا قالَ:

ـ هي من عندِ حَبيبي رسولِ اللَّهِ ﷺ. ادفنوها معي.

وسأَلَهُ أَحَدُ أَولادِهِ:
ـ أَلا نَدْعو لَكَ طَبيباً.
قال:
ـ الطبيبُ أَمْرَضَني.
ولما أَحَسَّ أَنَس بدُنُوِّ الأَجَل قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ:
ـ لقِّنوني[1] لا إلَه إلاّ اللَّه
واسْتَمرَّ يَقولُها حتى صَعِدَتْ روحُه إلى خالِقِها.
ودُفِنَ أَنَسُ بنُ مالِك في البَصْرة، وكانَ آخرَ مَنْ

(١) لقنوني: أملوا عليَّ.

بَقِيَ مِنْ صحابَة رسول اللَّه ﷺ.

ولما ماتَ أَنَسُ بنُ مالِك قال مُؤْرِق العِجْلِيّ:

ـ ذهَبَ اليومَ نِصْفُ العِلْم.

قيلَ لَهُ:

ـ وكيفَ ذاكَ يا أَبا المُعْتَمِد؟.

قالَ:

ـ كانَ الرَّجُلُ من أَهْلِ الأَهواءِ إذا خَالَفَنا في الحديثِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قُلْنا لَهُمْ:

ـ تعالَوْا إلى من سَمِعَهُ مِنْهُ.. تعالَوْا إلى أَنَسِ بنِ مالِك.

رَحِمَ اللَّهُ أَنَس بنَ مالك.. خادِمَ رسولِ اللَّهِ وصاحِبَ حديثِه.. المسلم المؤمِن المجاهِد. فقد كانَ عموداً من أَعمدةِ الصَّرْح الإِسلامِيِّ العظيم.

المصادر والمراجع

١ ـ السيرة النبوية	ابن هشام
٥ ـ الاصابة	العسقلاني
٣ ـ البداية والنهاية	ابن كثير
٤ ـ أسد الغابة	ابن الأثير
٥ ـ الاصابة	العسقلاني
٦ ـ معرفة الصحابة	الأصبهاني
٧ ـ الطبقات الكبرى	ابن سعد

الفهرس

سلسلة أعمدة الإسلام

١ ـ أبو بكر الصدِّيق .
٢ ـ عمر بن الخطَّاب .
٣ ـ عثمان بن عفَّان .
٤ ـ عليّ بن أبي طالب .
٥ ـ عمر بن عبد العزيز .
٦ ـ سعد بن أبي وقَّاص .
٧ ـ طلحة بن عبيد الله .
٨ ـ الزبير بن العوَّام .
٩ ـ أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح .
١٠ ـ عبد الرحمن بن عوف .
١١ ـ سعيد بن زيد .
١٢ ـ حمزة بن عبد المطلب .
١٣ ـ زيد بن حارثة .
١٤ ـ سالم مولى أبي حذيفة .
١٥ ـ عبد الله بن جحش .
١٦ ـ عتبة بن غزوان .
١٧ ـ عبد الله بن مسعود .
١٨ ـ المقداد بن عمرو .
١٩ ـ خبَّاب بن الأرتّ .
٢٠ ـ صهيب بن سنان الرومي .
٢١ ـ بلال بن رباح الحبشي .
٢٢ ـ عمار بن ياسر .
٢٣ ـ زيد بن الخطَّاب .
٢٤ ـ عثمان بن مظعون .
٢٥ ـ أبو سبرة بن أبي رهم الأسلمي .
٢٦ ـ سعد بن معاذ .
٢٧ ـ عبَّاد بن بشر .
٢٨ ـ محمد بن مسلمة .
٢٩ ـ عاصم بن ثابت .
٣٠ ـ خالد بن زيد .
٣١ ـ أُبي بن كعب .
٣٢ ـ عبد الله بن رواحة .
٣٣ ـ بشير بن سعد .
٣٤ ـ عبادة بن الصامت .
٣٥ ـ معاذ بن جبل .
٣٦ ـ أُسيد بن حضير .
٣٧ ـ العباس بن عبد المطلب .
٣٨ ـ جعفر بن أبي طالب .
٣٩ ـ أبو سفيان بن الحارث .
٤٠ ـ أسامة بن زيد .
٤١ ـ سلمان الفارسي .
٤٢ ـ خالد بن سعيد بن العاص .
٤٣ ـ أبو موسى الأشعري .
٤٤ ـ شرحبيل ابن حسنة .
٤٥ ـ عبد الله بن عمر بن الخطّاب .
٤٦ ـ عبد الله بن حذافة .
٤٧ ـ عمير بن وهب الجمحي .
٤٨ ـ أبو ذرّ الغفاري .
٤٩ ـ الطفيل بن عمرو .
٥٠ ـ خالد بن الوليد .
٥١ ـ عمرو بن العاص .
٥٢ ـ سعيد بن عامر الجمحي .
٥٣ ـ نعيم بن مسعود .
٥٤ ـ المغيرة بن شعبة .
٥٥ ـ سلمة بن الأكوع .
٥٦ ـ أبو هريرة الدوسي .
٥٧ ـ حذيفة بن اليمان .
٥٨ ـ البراء بن مالك .
٥٩ ـ عبد الله بن سلام .
٦٠ ـ سماك بن خرشة .
٦١ ـ عياض بن غَنْم .
٦٢ ـ عمرو بن الجموح .
٦٣ ـ عمير بن سعد .
٦٤ ـ غالب بن عبد الله .
٦٥ ـ فرات بن حيّان .
٦٦ ـ القعقاع بن عمرو .
٦٧ ـ يزيد بن أبي سفيان .
٦٨ ـ عكرمة بن أبي جهل .
٦٩ ـ حكيم بن حزام .
٧٠ ـ خُبيب بن عديّ .
٧١ ـ الربيع بن زياد .
٧٢ ـ سراقة بن مالك .
٧٣ ـ عبد الله بن الزبير .
٧٤ ـ أبو العاص بن الربيع .
٧٥ ـ زيد بن سهل .
٧٦ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر .
٧٧ ـ مصعب بن عمير .
٧٨ ـ عبد الله بن العباس .
٧٩ ـ عديّ بن حاتم .
٨٠ ـ زيد بن ثابت الأنصاري .
٨١ ـ حبيب بن زيد .
٨٢ ـ ثمامة بن أثال .
٨٣ ـ ثابت بن قيس .
٨٤ ـ أنس بن مالك .
٨٥ ـ سهيل بن عمرو .
٨٦ ـ ضرار بن الأزور .
٨٧ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام
٨٨ ـ عمرو بن معديكرب .
٨٩ ـ المثنى بن حارثة .
٩٠ ـ النعمان بن مقرِّن .
٩١ ـ عويمر بن مالك (أبو الدر
٩٢ ـ جرير بن عبد الله البجلي
٩٣ ـ سعد بن عُبادة .
٩٤ ـ مجزأة بن ثور .
٩٥ ـ الأقرع بن حابس .